تقديم

من سيادة الأستاذ محمد عبد الخالق حسونة

الأمين العام لجامعة الدول العربية

هذا هو العدد الثانى من مجلة « معهد البحوث والدراسات العربية » يسعدنى أن أقدمه إلى جماهير الباحثين وأساتذة الجامعات والمعاهد العليا وطلابها عساه يقدم لطلاب المعرفة والساعين وراء الحقيقة بعض ما يبتغون .

صدر العدد الأول من هذه المجلة فى مارس / آذار من العام الماضى (١٩٦٩) وقد اكتملت فيه مجموعة من المقالات والبحوث تناولت العديد من القضايا العربية والمشكلات الفكرية والتاريخية التى تهم وطننا العربى .

أما هذا العدد فقد رأت إدارة المعهد إسهاماً منها فى جلاء الحقيقة وتوضيح السبيل أن تخصص طائفة من بحوثه ومقالاته للحديث عن جامعة الدول العربية بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على ميلادها . ولسوف يرى القراء : علماء ورجال بحث وأساتذة جامعات وغيرهم .. أن جامعة الدول العربية اليوم ، قد أصبحت من الدنيا العربية فى المكانة التى تكون عنصراً أصيلا من تفكيرها وحياتها وواقعها .. ومستقبلها أيضاً . فإنها ترسم وتخطط .. وتتابع التنفيذ حتى المرحلة التى لاغنى عنها لأى منهج أو مشروع ...

أجل .. لقد ولدت جامعة الدول العربية والأحداث المتلاحقة تبهظ كاهل أعتى الدول وأقواها وأشدها زهواً بانتصارها .. وكان على المولود الطرير الذى لم يشب عن الطوق بعد ، أن يواجه العديد من المشكلات المتخلفة عن القرون الخوالى بروح المؤمن الصابر، وأن يتحدى الكثير من الأزمات بعزم الشجاع ووثوق الحكيم .. كان على جامعة الدول العربية ، منذ ولادتها ولست أدرى إلى متى سيظل عليها مثل هذا الواجب الكبير، أن تكون وهى تمارس ، بقوة الشباب مكتمل الرجولة ، وأن تكون وهى تقدم وتصدر بحكمة الشيخ الذى عركته

التجارب، أما إذا تطلعت أو قدرت فما عليها إلا أن تستوحى رؤى الأنبياء والفلاسفة والحكماء ...

ذلك ما كان على جامعة الدول العربية أن تصنعه .. وأن تقدره وأن تراه .. بعقلها وقلبها وضميرها .

أجل ، ربما يكون فى ميلاد الجامعة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ما جعل الخطوة تتعثر أحياناً والمعاناة تطول .. والقيم الموروثة مجالا للأخذ والرد .. على أن ذلك كله فيما أقدر ، قد أكسبها مناعة .. وأعطاها خبرة .. ومنحها الصبر على المجاهدة ، وكذلك كانت اللقاءات فى تواليها وتعددها وتشعبها وتنوعها مجالا خصيباً ، ما كان بغير الجامعة سيفتح له باب أو تتاح له فرصة ، أول مجال خصيباً لتحرير إرادة التغيير من عوامل الارتجال وأسباب العفوية ، وبهدى التجربة الواعية من خلال العمل ، ظل الطابع الوحدوى صفة ما يصدر عن الجامعة ، وما تنتهى له ، وما تتطلع إليه .. ولذلك كان معنى « مستقبل أفضل » التعبير الذى أصبح لازمة تتردد فى كثير من المناسبات ، المضمون الحى للوحدة العربية ، فالجامعة التى أنشئت لتجمع دولا أصبحت اليوم تدعو عن صدق وإيمان إلى الدولة العربية المتحدة .

إن الجامعة هى موطن التقاء العرب . وجمعهم فى السراء والضراء ، فى الأمل والعمل . وفى النظر إلى المستقبل والتطلع إلى غد أفضل ، أبوة واحدة تجمعهم ، وأمومة واحدة ترضعهم بلبانها فيأتلفون إذا اختلفوا ، ويتفرقون وهم على أمل اللقاء .. وكذلك كانت الجامعة الأمل الذى طال تطلع العرب لكى يلتقوا من حوله ، وقد تخلوا عن كل شعار أو صفة تحد من مسيرة الوحدة العربية أو تشوه مفهوم العروبة ..

حقيقة أن مأساة فلسطين قد طعنت العرب وجامعتهم فى الصميم . على أن استرداد الحق السليب ، واستعادة الأرض المحتلة .. وتحرير الوطن .. وحشد القوى ، ومواجهة العدوان بالشدة والحزم والإرادة — كل أولئك وغيرها ،

الأساس الذى تعمل به ومن خلاله وله الجامعة العربية . ويوم تتأكد هذه المعانى لأمتنا العربية حقيقة وفعلا .. سوف يقف التاريخ ليسجل لأمتنا وجامعتها كلمة صدق وإكبار فى سجله الحافل ، أن العرب قد حققوا ذاتهم ودخلوا من باب الخلود.

وحقيقة أيضاً أن العرب قد واجهوا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية المشكلات والأزمات التى لحقت بغيرهم من الأمم المتطلعة إلى مستقبل أفضل كما أسلفت ، ولكن أمتنا تمتاز فى أنها تبدأ المحاولة ووراءها من تاريخها العريق رصيد يساعدها على تجنب الكثير من العثرات — إنها لا تبدأ من البداية — وإنما تواصل المسير، ولذلك ظلت العفويات فى فكرها وضميرها تأتى على الهامش . وما تجده أحياناً من تشاؤم مغرق إلى درجة السلبية والانهزامية أو تفاؤل مفرط حتى يكاد يكون استسلاما واستكانة ، كل منهما يتناول طرفاً بعيداً عن صميم أية مشكلة .. فلست أظن أن أحدهما له القول الفيصل . وإنما ذلك مصيره إلى التجربة العتيدة ، والحكمة الموروثة الباسلة ، الحكمة التى ظلت تصارع الزمان وكل أسباب الضعف ، وفى الوقت الذى كانت فيه الأمة العربية مهيضة الجناح ، مسلوبة السلاح ، مضيعة الإرادة ، ظلت رؤاها على ما يلبد سماءها من غيوم العصر ومشكلاته وأزماته هى بصيرتها إذا كل بصرها أو ضعف ، كما ظلت حكمتها ، إذا أعوزها العلم وقهرها التخلف أو التأخر .

ومهما يكن من شىء .. فأحمد الله لأمتى ولنفسى .. أن تجربتنا متصلة . وأن استعدادنا اليوم فى سلمنا وفى حربنا ، فى يسرنا وعسرنا ما نالت منه الأزمات ولا قعدت به النكسات ، وأن الأقدار المقدورة أصبحت اليوم تنظر إليها على أن المشيئة الربانية تيسرها لنا لنعرف أكثر فيحسن إدراكنا ويصلح حكمنا ، رابطين قضايانا بواقعنا وعقائدنا بأعمالنا وإرادتنا بوعينا .

وكذلك أصبحت وسائلنا وأدواتنا من خلال جامعتنا وفى عصر التحولات ، أكثر مرونة .. وأصح أسلوباً حتى غدت الجامعة لأمتها وشعوبها قبل دولها وحكوماتها البناء الذى لا يتكامل للعرب وجود إلا من خلاله .. فيه .. وبوساطته ..

والحق أننا أحياناً نظلم أنفسنا قبل ظلمنا لجامعتنا إذا ما أغفلنا نظرة العالم إلينا ، وهى النظرة التى تضعنا مرة واحدة ، جماعة واحـدة ، أمة واحدة بـكل ثقلها وبمكناتها فإذا بنا أكبر .. وأعظم .. وأرجح .

وهناك نظرة أخرى خلصت إلينا من خلال التجارب المريرة التى مرت بأمتنا ، ومن خلال ما تقلب على هذا الوطن عبر القرون الخوالى . وهى نظرة ساخطة لاترضى بشىء .. وترفض كل شىء .. ومع هذا فإن فيها من أسباب القوة قدرا كفيلاً لما فيها من عوامل الضعف .. والميزان الصحيح بينهما لا يتأتى إلا بالإيمان.. ووضوح الهدف ومحاربة كل أنواع المخلفات : الاقليمية والعنصرية والطائفية .. وعندئذ تصبح الأمة نفسها جميعا فى مواجهة الأعداء الجميع عليها . . لأنها نفسها جماعة : يد واحدة ، تمسك على الزناد .. وفأس تضرب فى أعماق الأرض تستنبت خيراتها .. ومتن شديد يحلق فى الجو ، وسفينة عتيدة تمخر العباب.. على ذلك تغدو الجامعة فى أمتها ، كما هى آخذة نفسها يوماً بعد يوم من الشمول والعمق والجهد الهادف بحيث تستغرق التاريخ والواقع والمستقبل.. جميعاً، وعندئذ تصبح الجامعة وكأنها حكومة العرب .. بل دولتهم المأمولة ..

وما أسعد الأمانة العامة بهذا العبء تنهض به واجباً مقدساً.. ورسالة عظيمة تتغيى تحقيقها ..لها من الصبر الجميل ذريعة المؤمن الصادق ، ومن الايمان بالله والأمة الخالدة عزاء عن كل ما وجدت وما تجد — ولقد أحسنت إدارة معهد البحوث والدراسات العربية صنعاً حين أتاحت لجماهير الأمة العربية ، علماء وغيرهم أن يقفوا على المسيرة الطويلة الشاقة التى قطعتها جامعتهم ... من حقهم أن يقفوا على الشوط الطويل الذى ساروا به ليعيدوا النظر ... ويحكموه ... ثم هم يحكمون عن معرفة ... وإدراك .. ووضوح هدف ، فلعل فى ذلك من المراجعة والمواجهة مع الذات ما يجنبنا فى سيرنا المقبل العثرات ويأخذ بيد أمتنا إلى ساحل الأمان . . ونهاية مطاف سعيد ...

والله أسأل لأمتنا النصر والعز والسؤدد ...